



قناة الدنيا الفضائية على عهدنا لم تزل في كل يوم تتحفنا بجديد تقشع له الأبدان، وإنني لأستبيحكم عذراً أن أعرج على أمر هام ألفت له انتباهكم، وانتباه القائمين على إدارة قناة الدنيا الفضائية قبيل أن أدخل بموضوعي الرئيسي.

هل يعلم القائمين على إدارة قناة الدنيا الفضائية معنى اسم قناتهم، تعالوا معي في رحلة برحاب هذا الاسم: الدنيا هي مؤنث الأذنَى، وتقول أسفل للمذكر، وسفلى للمؤنث، والأذنَى: هي اسم التفضيل للصفة المشبهة (دنيء) ومعناها أكثر دنواً وكانت العرب تطلقها لتحقير الشيء وتصغيره، وكم من شاعر ذمها بشعره، وكم من حكيم أوصى منها الحذر.

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها *** على أنهم فيها عراةً وجوع أراها

وإن كانت تحب فإنها *** سحابة صيفٍ عن قليل تقشع

تلك هي قناة الدنيا الفضائية وإنني لأظن أن لها من اسمها نصيب كبير، فالدنيا وقناة الدنيا يتمتعان بنفس صفات ومعنى الاسم سبحانه الله. بالأمس استضاف مقدم قناة الدنيا الفضائية بوق من أبواق النظام لم تكن المرة الأولى التي يطل علينا بسام أبو عبد الله بطلته البهية ولدغته الشجية، إلا أنني كلما سمعته تذكرت الشاعر بقوله:

وكل السفية إلى السفاهة وانتصف *** بالحلم أو بالصمت ممن يسفه

لكن هذه المرة لم تكن كسابقاتها، لم يكن أبو عبد الله مجرد بوق أرعن يقلب الصفحات التي بحوزته وينثر كلامه بالهواء عبر ساعات طوال لا يكمل فيها ولا يمل، هذه المرة تمادت تطاولات هذا البوق حتى طالت أمور شرعيه، وهنا لا يمكن لنا السكوت، فالرد عليه وعلى أمثاله أصبح واجب.

بدئ البوق بسام أبو عبد الله حديثه كما اعتدناه بتخويننا وشم الثوار ولا يستثنى منهم أحداً، بل وعلى كل من يشدد أزرهم ويعينهم ويتعاطف معهم، وقتلهم واجب على الحكومة لا بد منه، فنحن لسنا سوى شرذمة قليلة (حشاشة باعت نفسها للمؤامرة الكونية المحاكاة ضد هذا النظام الأسدي)، وقد انتهت السلطة من القضاء علينا وهم الآن بمرحلة العد التنازلي لحل أزمة الحراك الشعبي بسورية (سبحان الله كم سمعنا من هذا الكلام) وكأن بسام أبو عبد الله يعيش بعالم آخر: وحقيقة أنه يعيش بدنيا أخرى، فهو محيط خياله لا يتعدى قناة الدنيا الفضائية حسيك أن تكون كميت بين الأحياء.

إذا ما الحي عاش بعظم ميت *** فذاك العظم حي وهو ميت

أبو عبد الله وصف السلفيون بالمجرمين والوهابيون بالقتلة عذراً أبو عبد الله كلمة السلف هي امتثال الخلف بفعل السلف، فإن كان سلفنا كما وصفت فمن أين أنت أتيت يا ذاك الأرعن، لقد سطر سلفنا للتاريخ ملاحم مجد بنقاوة وطهر، أما أسدك فهاهو يسطر التاريخ بدمائنا ويترك على أجسادنا ما لا ننساه، هذا إن سلمت من بنادقه جماجمنا لقد ترك للتاريخ كما أبيه وصمة عار لن ننساها ما حيينا.

ثم يقول أبو عبد الله: إننا مجتمع لا تحكنا القيم الدينية، فلن نسمح للدكتور محمد حبش وأمثاله أن يتاجروا بها، وأن كل ما توجهت لقناة فضائية لتستمع لها سمعتهم يتكلمون فيها عن سيدنا فلان وسيدنا علان حسب وصف أبو عبد الله، فتلك الأفكار باتت أفكار متعفنة وإننا لم نزل ننظر إلى الماضي، تعالوا نفكر بالحاضر نحن أبناء أسر مؤصلة تحكنا عاداتنا وتقاليدنا، ولا تحكنا القيم الدينية هيهات أيها الغافل، فدمشق الشام مذ قديم الأزل تحكها القيم الإيمانية، فنحن على اختلاف شرائعنا ومذاهبنا إنما تحكنا قيم الإيمان بالله، وها أنت تحضنا على نسيان الماضي، عجيبي لمن منحك مرتبة الدكتوراه ألم يعلمك أن من لا ماضي له يقرئه لا مستقبل له يكتبه، أما تلك المراقص التي ذكرتها على الهواء فلعلها كانت مرتعك ومرتع من تصطحب بجلساتك، فأخو الشقاوة بالجهالة ينعم، فأبي الرجال أنت؟

ورجل يدري ولا يدري أنه يدري *** فذلك غافل فأيقظوه

ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري *** فذلك جاهل فعلموه

ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري *** فذلك أحمق فاجتنبوه

المصادر: